Editor -in- Chief
Fakhri Karim
Al Mada
General Political Daily
Wed (31) March 2004
http://www.almadahouse.com
E.Mail- almada112@yahoo.com
16 Pages
250 ID

وقفة

هل كان السلام الجمهوري السابق مسروقاً؟

فاضل ثامر

ثمة اشياء نراها او نسمعها فلا نكاد نصدقها، ونحاول ان نبعدها على دائرة اذهاننا وكأنها جزء من وهم او كابوس عابر. هذا ما حصل لي في اواخر الثمانينيات عندما كنت اشاهد فلما سينمائياً في شريط للفيديو يدور حول نضال المقاومة الاوروبية ضد الاحتلال النازي، واتذكر ان الفلم ضم مجموعة من الممثلين العراقيين منهم سلفستر ستالون كما شارك في الفيلم بدور ثانوي نجم الكرة البرازيلي بيليه. ومن احداث الفيلم التي اتذكرها تنظيم مباراة بكرة القدم كان فيها سلفستر ستالون يقوم بدور الهداف وبيليه بدور الهاجم بين فريق السجناء السياسيين وفريق رياضي من جنود الاحتلال النازي. وخلال مراسيم الاحتفال عزف سلام وطني وقف خلاله ضباط الاحتلال احتراماً. وما اصعقني آنذاك ان السلام الوطني الذي سمعناه هو السلام الجمهوري العراقي ذاته الذي وضعه الفنان وليد علمية، والذي وضعت له قصيدة للشاعر الراحل شفيق الكمالي (وطن مد) حينها لم اصدق ما سمعت ابداً، وقلبت الامر على وجوهه المختلفة وتوصلت الى استنتاج طريف مبني على افتراض ان احداً ما ربما قام بعملية مونتاج لا نزال السلام الجمهوري العراقي بدل السلام الوطني الذي عزف آنذاك. وهكذا انتهى الامر بالنسبة لي، ذلك اني كنت ادرك ان اثارة مثل تلك المسألة آنذاك وتحت ظل لسلطة الدكتاتورية المستبدة امر لا تؤتمن عواقبه ابداً!

إلا ان ما اعاد هذه الواقعة الى ذهني اليوم هي احدى الندوات الاذاعية التي شهدتني قبل ايام بالاستاذين د. حسين امين، شيخ المؤرخين العراقيين والفنان عبد الرزاق العزاوي الوسيقار واللحن المعروف وقائد سابق لفرقة السمفونية العراقية. وقد عرضت شكوكي هذه بصدد احتمالية سرقة السلام الجمهوري العراقي الذي الفه الفنان وليد علمية، فما كان من الاستاذ عبد الرزاق العزاوي إلا ان يؤكد مثل هذه الشكوك. وتذكر معي تفاصيل اوسع عن ذلك الفيلم مشيراً الى ان ذلك النشيد هو النشيد الوطني اليوغسلافي في زمن الاحتلال النازي. ولاننا اليوم نقوم بمراجعة امينة لتأريخنا الثقافي يجدر بنا ان نعيد فتح ملف تأليف النشيد الجمهوري العراقي السابق وملابساته وفيما اذا كان اصيلاً ام مسروقاً؟

منشورات دار (المدى) للثقافة والنشر والتوزيع

متشرداً في باريس ولندن

تأليف: جورج أورويل.
ترجمة: سعدي يوسف.

كتاب يتراوح بين السيرة الذاتية والرواية للكاتب البريطاني المعروف جورج أورويل وهو ينتمي الى مرحلة البسارية، حولته ترجمة سعدي يوسف الشاعرية الى نص اسر، وأورويل يروي في هذه الرواية تجربة تشرده في لندن وباريس في الفترة الواقعة بين الحربين العالميتين.

عندما تلتقي بفنان مغترب، عليك ان تستمع اليه، وتطرح السؤال تلو السؤال عليه، لتحتوي حالة المعاناة والالم والغربة التي عاشها. وعندما يتكلم عن الوطن تشعر بأن قلبه ينقطر دماً عليه وهو قيد انها الحالة التي فرضت على الانسان العراقي، سواءً كان في الداخل في الخارج، فلكل واحد همومه، ومعاناته ومخاضاته لذلك وانا التقي بالفنان طالب غالي الملحن الذي تشبع بالروح العراقية في مدينة البصرة وعاش افراحها واحزانها، كنت اصغي اليه بكل جوارحي، لانه كان محملاً بالالم والحنين معاً، فرغم انني لم التقيه غير هذه المرة، الاّ انني شعرت بتوحدي معه وهو يتكلم معي، شوكني في مشاعره وجعلني أعيش الغربة والمنفى معه، واستمتع بجمال صباحات العراق، وشموخ النخيل في البصرة، وهو يتحدث عن (الآن، زمن عودته. بادرته بالسؤال التالي:

الفنان طالب غالي:
لحنت في الغربة (انشودة المطر) و(يادجلة الخير).. في بلدي امتلك مفاتيح الدنيا..

حوار: محمد درويش
تصوير: سمير هادي

* بماذا تشعر الآن وانت بيننا؟

. اشعر بأني امتلك مفاتيح الدنيا في يدي. كل شيء يوحي بأمان الروح، سواء كان الانسان في النوم او اليقظة؛ الأرض ارضي، والناس اهلي، ولاسويفي طوع بناني، وكلما التقيت بصديق يعيدني لسنوات الطفولة والحب، سنواتي في الفرقة البصرية مع حميد البصري، ولويس توماس، وكوكب حمزة وصبري هاشم وعباس البصري، وايقاع الخشابة.

* انت ضمن هذه الاجواء كانت بداياتك؟

. لا بد من ذكر التأثير الأول علي، وكيفية تبلورها، ولا سيما ضمن عائلتي، امي كانت تقرأ في المجالس لحسينية للنساء، وكانت تمتلك صوتاً رخيماً، ولبي كان يغني، وغناؤه لم يتعد حدود البيت، يغني لنفسه فحسب، واصرّ له لسمع ويوسفني اذني لم اسجل له شريطاً قبل رحيله.. كنت استمع لكليهما ابي وامي، وهما ينشران الشجن داخل البيت. من هنا كانت بدايتي الأولى.

* هذا داخل البيت وماذا عن التأثيرات خارج البيت؟

. نعم، كان هنالك مغنون بصريون يغنون للقام، بطريقة مغايرة قليلاً عن السائد في بغداد، منهم خضير السياب، وربيع، وحسين بتور، وكذلك فرقة لخشابة التي امتازت اذني بإيقاعاتها. هؤلاء كانوا يشكلون اضافة جديدة لما تعلمته من البيت.

* ما حكاية الفرقة البصرية؟

. تشكلت هذه الفرقة التي كانت تأخذ على عاتقها تقديم الفنانين من ابناء المحافظة في العام 1964 وكان يرأسها حميد البصري، وكان كوكب حمزة يعزف الناي فيها، ولويس توماس يعزف الكمان وأنا اعزف على العود. اما الطربون فهم صبري هاشم، وعباس البصري وأنا لأنني في بداياتي كنت اغني، وبعد ان قدمنا عدداً من الفعاليات الغنائية كان طموحنا ان نقدم شيئاً اكبر.

* وماذا افعلته؟

. اجتمعنا محمد سعيد الصكار، وياسين النصر، وحميد البصري وقصي البصري، وعلي العطب، وهو شاعر شعبي وانا لمنافسة تقديم شيء اكبر يليق بنا وبالمحافظة التي ننتمي اليها. فاتفقنا على تقديم اوبريت يحكي قضية الفلاح ومعاناته في الهجرة من الريف الى المدينة وللفارقات التي تحصل له. فوضع ياسين النصير السيناريو وكتب القصة شعراً علي العطب ولحنها حميد البصري وشارك في الاوبريت اكثر من خمسين منشداً، وغنى فيه فؤاد سالم، وأم لنا (زوجتي) وشوقية وحقق نجاحاً كبيراً عندما عرض في العام 1969 على قاعة الخلد ببغداد. وباعتقادي فإن البصرة لها الريادة في تقديم اول أوبريت غنائي.

* وهل قدمتم غير هذا الأوبريت؟

. نعم كانت لنا مساهمات في احتفالات يوم المسرح العالمي كل عام، فضلاً عن تقديمنا لمسرحية غنائية عن قصة ياسين وبهية

شيء لحنت مجموعة من القصائد الشعرية منها (غريب على الخليج) لبدر شاكر السياب، و(يا دجلة الخير) للجواهري وغناها الفنان فؤاد سالم، الذي غنى لي اجمل لحاني التي وصلت الى ثلاثين لحناً برزها (عمي عمي ياسو مركب) و(حنا بيوية رفاكة) و(دعونا) و(حبيناكم).

* تعرف جيداً أن تلحين القصيدة يحتاج الى امكانية غير اعتيادية، ودراية بالمقامات الغنائية، ومعرفة بأصول الشعر، والذين نجحوا في تلحين القصيدة هم قلة؟

. قربي من الشعر وخصائصه جعلني اجد فيه سماءً فسيحة بإمكانها احتواء لحاني. فأنا اقرأ القصيدة جيداً، وتمثلها، ثم أبدأ بتلحينها. قصيدة (انشودة المطر) للسياب استغرقت في تلحينها ست سنوات، ضمنتها ايقاعات لهيوة والوروث البصري وفيها كورال ايضاً، ولحنت لمحمد سعيد الصكار (عزباء عندما تلتقي) و(القصيدة الناقصة) ولحنت لسعدي يوسف قصيدة (رسالة الى أمي) ولعدنان الصائغ (حبيبتي والعراق) ولعبد الكريم كاصد (لخبز) و(زهيري) باللغة الفصحى.

* كيف تنظر الى تجربة كاظم الساهر وما حققه من نجاح، مما حدا بالبعض الى ان يقول انه (ظاهرة)؟ وهل ما قدمه غناء عراقي؟

. كاظم الساهر موهبة كبيرة في التلحين والاداء، ولم يكن ما قدمه شيئاً قليلاً فإنه قدم فناً متأثراً بكل القاييس، وفتح الساحة العراقية وتبوأ المركز الاول فيها، وهذا انه يأت من فراغ. كان ذكياً جداً عندما اختار قصائد نزار قباني وجعلها مغناة تردد الالسن في كل مكان.

* ماذا تتمنى الآن وقد عدت من الغربة؟

. تمنى اقامة مهرجانات غنائية، ليتمكن الفنان العراقي من اطلاق مواهبه والتعبير عن الذي كان يخفيه في السنوات الماضية ولا سيما الذين عاشوا في الغربة. وكذلك تمنى ان تقوم الفضائيات العراقية بدورها في هذا المجال. فالاصوات الجيدة ما زالت موجودة والرهان عليها قائم.

لدي فكرة لتقديم اغنيات عراقية فيها روح العصر، وغير منقطعة عن الجذور اتمنى ان تستثمر الاوضاع في بلدي، وتزهر لوروده من جديد في خمائله وتتلألأ النجوم.

للصرية، بعد تعريبها، ولحنت اغانيها التي كتبها على العطب، واخرجها قصي البصري.

ثم قدمنا اوبريتاً ثانياً بعنوان (الطرقة) مضمونة يتحدث عن نضال الطبقة العاملة وصمودها وتصديها للاستغلال، وعن معاناة السجناء السياسيين في نشرة لسلمان، لحنت الاغاني التي قدمت فيه وغناها فؤاد سالم وشوقية وام لنا واخرجها قصي البصري.

* وفي سنوات البعد والغربة ماذا قدمت من لحان؟!

. ظروف العمل في الغربة تختلف كلياً عن ظروف العمل في الوطن. تحتاج الى اشياء كثيرة لتنتج عملاً غنائياً. فأجور الاستوديوهات والموسيقيين خيالية، وكان نشاطنا يحسب له حساب كوننا ننتمي الى المعارضة. اضرب لك مثلاً: اتصلت بالصالة نصري وصابر الرباعي واتفقنا على تقديم شيء مشترك، كل واحد منهما على حدة لكنهما اعتذرا في الاخير. إلا انني وبرغم كل